البعد الإشاري في الخطاب القرآني
(مقاربة تحليلية المقاصد والأبعاد) في بعض الآيات القرآنية

د. وداد علي يوسف ــ كلية التربية أبو عيسى ـ جامعة الزاوية
Yousefwedad167@gmail.com

الملخص :

يعد الخطاب القرآني ذا قيمة تبليغية ذات مقاصد ودلالات تتحدد معالمها في نطاق السياق، وتعد الإشاريات التداولية ظاهرة لغوية داخل الخطاب القرآني ذات أثر تواصلي منفعي يهدف إلى مخاطبة العقل البشري لتفعيل تفكيره وتدبره؛ لجلب المنفعة الدينية والاجتماعية، والعلمية، ويهدف البحث إلى الإجابة عن السؤال في كيفية إمكان توظيف البحث الإشاري لتحليل العلامات اللغوية خلال الخطاب القرآني. وتتحدد أهمية البحث في توظيف العناصر الإشارية؛ للكشف عن المقاصد التبليغية والإخبارية للخطاب. ومن بعض النتائج الأولية التي برزت في البحث، ملاحظة ارتباط الإشاريات داخل الخطاب القرآني بالسياق وبروز صنفين من الإشاريات ذات علامة زمانية، وهي الزمانية الكونية والزمانية النحوية، وتحديد دلالة الإشاريات المكانية حسب السياق. فهذه مدونة مبسطة حول تحليل الظواهر التداولية الملفوظة في الخطاب القرآني وتحديداً الإشاريات الشخصية والزمانية والمكانية والوجدانية، وقد تم اختيار بعض النماذج القرآنية كأنموذج دراسة.

كلمات مفتاحية: تداولية، إشارية، الخطاب القرآني، إشاريات وجدانية، إشاريات زمانية كونية

المقدمة :

التعبيرالإشاري مصطلح يطلق على الصيغ اللغوية ([1]) التي تستعمل للقيام بالإشارة بوساطة الخطاب الكلامي وتسمى الإشاريات. وتشمل: الضمائر بأنواعها، وأسماء الإشارة، وظروف الزمان، والمكان، والصيغ الانفعالية كالنداء، والتعجب، وأسماء القرابة،([2]) والإشاريات على اختلافها من العلامات اللغوية، ولا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي، لذلك أطلق عليها علماء النحو (بالمبهمات)؛([3]) لأنها خالية من أي معنى في ذاتها.

الإشاريات لغةً: الإشاريات جميعها تلتقي في مفهوم التعيين وتوجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه([4])، ولذلك سميت بالمعينات، وهي جمع لكلمة مفردة هي

المعين.([5]) وتعني المعينات لغة الإشارة والتحديد والتعيين والعرض والتمثيل والتبيان والتأشير.

وأما اصطلاحا: فهي مجموعة من المرجعيات المبنية على شروط التلفظ الخاصة، وظروفه، كهوية المتكلم، ومكان التلفظ، وزمانه([6])، والإشارة هي علاقة تربط بين تعبير ما، وما يشير إليه ذلك التعبير في المناسبات التي يقال فيها، وكذلك ترتبط بالقول؛ لأنه مرتبط بالسياق. فالإشارة المجردة عن سياقها غامضة لا تحمل دلالة معينة، ولا تتحدد دلالتها إلا في المقام الذي قيلت فيه؛ لأن الإشاريات بحسب "ليفنسون " تذكير دائم بأن اللغات الطبيعية وضعت في الأساس من أجل التواصل المباشر بين الناس وجها لوجه، وتبرز أهميتها حين يغيب عنا ما تشير إليه، فيسود الغموض ويصعب الفهم. [(7)]

❖ **مفهوم الإشاريات التداولية :**

تعد الإشاريات من إحدى ظواهر التداولية، في دراسة الظاهرة اللغوية عند الاستعمال، وهذه الإشاريات تعد علامات لغوية لا يتحدد مقصدها إلا عند السياق التداولي؛ لأنها مبهمة في ذاتها لا معنى لها، حيث إنها ترتبط بمراجع غير ثابتة، ويرى الباحثون في مجال التداوليات أن دراسة اللغة سار في اتجاهين رئيسيين: الاتجاه الشكلي، وهو النحو والصرف عند العرب، والقوانين اللغوية غير المرنة عند الغربيين ولا يعد السياق الاجتماعي من ضمن النظام الدلالي فيها، والاتجاه التواصلي، الذي يدرس اللغة من خلال ممارستها والتلفظ بها من خلال سياق يتطلبه المقام أو حال المتكلم والمتلقي، وقد تمثَّل هذا الاتجاه في مناهج كثيرة منها: تحليل الخطاب التداولي، واللسانيات التداولية.

وتكمن الإشاريات في بنية الخطاب العميقة عند استعمال اللغة فيكون لها هيكلية الخطاب وخطته؛ فعند استعمال اللغة من قبل المتكلم، لابد للخطاب اللغوي من أن يتسم بصفات معينة ويتحدد في حيز زماني وحيز مكاني، وهذا يعني أن دور الإشاريات في السياق التداولي لا يقف عند الظاهر منها؛ لأن حدوث التلفظ من ذات المتكلم يكون بسمات معينة في خلال زمان ومكان معين، وقد قسم العلماء الإشاريات التداولية في الخطاب اللغوي إلى ثلاثة مستويات:- إشاريات شخصية، وإشاريات مكانية، وإشاريات زمنية، ([8]) والإشاريات تفسر الملفوظات وتحدد مجالها التبليغي في الخطاب عن طريق عناصر إشارية تحتويها تلك الملفوظات داخل سياقها المادي الذي قيلت فيه، و السياق له أهمية كبيرة في تحليل العناصر الإشارية الخاصة بكل ملفوظ، بالتوافق أن هناك تعبيرات وأساليب لغوية يتحدد معناها من خلال السياق الذي قيلت فيه ([9]) ولا يمكن تفسيرها بمعزل عنه. وهذا مثال مبسط يقدمه الباحث " محمد

أحمد نحلة" يوضح فيه أهمية السياق في تحديد العناصر الإشارية وما تحمله من معانٍ:

"سوف يقومون بهذا العمل غداً، لأنهم ليسوا هنا الآن"

ففي هذا المثال الكثير من العناصر الإشارية الغامضة، الأمر الذي يتحتم على الباحث اللغوي تحليلها وإدارك معانيها بأن ينظر في السياق المادي الذي قيلت فيه، والعناصر الإشارية هي: واو الجماعة، وضمير الغائبين، واسم الإشارة "هذا "، وظرفا الزمان "غدا، الآن"، وظرف المكان"هنا"، ولا يتضح معنى الجملة إلا بتحديد السياق الذي أنتجته كونه العامل الأساس؛ لتحديد المقصد الذي تشير إليه هذه العناصر، والمستنتج من هذا الكلام: أن الخطاب الكلامي له عناصرإشارية وعنصر السياق.

ويذهب لنفنسون إلى أن: " الإشاريات تذكير دائم للباحثين النظريين في علم اللغة، بأن اللغات الطبيعية وضعت للتواصل المباشر بين الناس أساساً ووجها لوجه، كما تظهر أهميتها البالغة حين يغيب عنا ما تشير إليه فيسود الغموض ويستغلق الفهم" ([10]) ومن هنا يتحدد مرجع الإشاريات بين المتكلم والسامع، وينحصر الخطاب اللغوي في إنتاجه على هذه الإشاريات، ويمكن تبسيط عملية التواصل بين المتخاطبين وتفصيلها، ومعرفة آلية عمل هذه الإشاريات في تقسيم الملفوظات على النحو التالي:

الخطاب.

المخاطب (المرسل).

مجال أو بيئة التواصل.

المخاطب (المتلقي).

عناصر إشارية مختلفة.

السياق الذي قيل فيه الخطاب.

2- **أنواع الإشاريات**: يذهب أغلب الباحثين في مجال التداوليات إلى أن الإشاريات ثلاثة أنواع: شخصية، وزمانية، ومكانية ([11])

ـ **الإشاريات الشخصية:** وتتحدد الإشاريات الشخصية بحسب المفهوم التداولي في:

ضمائر المتكلم: (أنا، تاء المتكلم، ياء المتكلم، نا، نحن)، وضمائر المخاطب: (تاء المخاطب، أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتم، أنتن)، والنداء يعد من ضمن مجموعة الإشاريات الشخصية؛ لأنه ضمنياً موجهاً لمخاطبٍ ما، وغايته التنبيه، أو توجيه المنادى، أو استدعاؤه، والنداء يكون مبهماً ولا يتضح إلا بالمرجع الذي يشير له.([12])

ويرى أحد علماء التداولية (بنفنست) أن الضمائر لا معنى لها خارج السياق اللغوي، وتصبح لها دلالة حينما تستعمل في الخطاب الكلامي، ومتى تلفظ الشخص بها في مقام

محدد، [13]فالضمير (أنا) و(أنت) لهما دلالة)) ([14]في ذاتهما على المتكلم أو المخاطب، والسياق هو الذي يدلّ على معرفة من المتكلم؟ ومن المخاطب؟ وأما ضمائر الغائب فتدخل في الإشاريات إذا لم يعرف مرجعها من السياق اللغوي، وعندئذ يتكفل السياق ([15]) التداولي بمعرفة إشارة هذه الضمائر إلى مرجعها. فضمائر المتكلم (التاء) أو (الياء) أو(أنا) أو (نحن) أو (نا) هي عناصر إشارية تعتمد على السياق ([16]) وحضور المتكلم أو المخاطب يتعين سياقيا ومرجعيا في أثناء عملية التلفظ والتواصل ([17]) بالعنصر الإشاري؛ ومرجعه يعتمد على السياق الذي يستعمل فيه ، واستعماله مقترن بعلاقة المتحدث.[18]

ومن الإشاريات الشخصية التي تحضر داخل الخطاب القرآني قوله تعالى: { **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**}[19] { **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**} ([20]) فالإشاريات الشخصية في الآيتين الكريمتين هي: ضمير مستتر العائد على المتكلم (جلَّ شأنه): (هو)، والضمير المستتر العائد على المخاطب قل (أنت) عائد على النبي عليه الصلاة ﷺ، و(يا أيها) كونه نداء، والنداء من العناصر الإشارية الحاضرة، والتي تعتمد على مرجعية سياقية فهي للتنبيه واستحضار ذهن المخاطب، وضمير المتكلم (ياء) وأنا محمد (ضمير الحاضر) لتوكيد الخبر، ومن العناصر الإشارية ضمير الغائب(هو) الظاهر، وضمير الغائب هو المستتر، الضمير الظاهر المتصل الدال على الغائب (واو الجماعة) والمستتر في الفعل يؤمن (هو)، والمستتر(أنتم) للفعل لعلكم.

نلاحظ أن الخطاب موجه من الله تعالى (المتكلم) للرسول صلى الله عليه وسلم (المخاطب)، (وإلى المخاطبين) الجمع (الناس)، والمقصود من الكلام هنا هو أن في جملة المخاطبين منكرين ومترددين، استقصاء في إبلاغ الدعوة إليهم، وتأكيد ضمير المخاطبين بوصف (جميعا) الدال نصا على العموم، لرفع احتمال تخصيص رسالته بغير بني إسرائيل، وكان الخطاب لجميع البشر؛ لأن كان فيهم

من لا يؤمن بالله، وفيهم من يؤمن بالله ولا يؤمن بالنبي الأمي ﷺ، فقد جمع بين الإيمان بالله والإيمان بالنبي ﷺ في طلب واحد، ليكون هذا الطلب متوجها للفرق كلهم، ليجمعوا في إيمانهم بين الإيمان بالله، وبالنبي عليه الصلاة والسلام، مع قضاء حق التأدب مع الله بجعل الإيمان به مقدما على طلب الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم للإشارة إلى أن الإيمان بالرسول إنما هو لأجل الإيمان بالله،([21]) أما في سورة

يونس نلاحظ العناصر الإشارية للحاضر والمخاطب كما يلي: ضمير المتكلم (أنا) المخاطب (أنت) في الفعل (قل) (يا أيها) عنصر إشاري؛ لتنبيه اذهان المخاطبين الجمع والعنصر الإشاري التاء للمخاطب الجمع(كنتم) وضمير المتكلم المستتر في (فلا أعبد) أي (أنا) محمد لا أعبد ماتعبدونه دون الله، والضمير المستتر في الفعل يتوفاكم (هو) عائد على الغائب الحاضر جلَّ شأنه والعنصر الإشاري (أنا) في الفعل أمرت، ولما كان مضمون هذه الجملة هو أصل دين الإسلام. فخلاصته أني لا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكني أعبد الله وحده، فيكون في معنى قوله تعالى:{ **قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون**} .([22])

ــ **الإشاريات الزمانية**: وهي المفردات الدّالّة على زمان يحدده السياق، وذلك بالقياس إلى زمان الخطاب أو التلفظ بتلك المفردات الزمانية، وزمان التلفظ هو مركز الإشارة الزمانية في القول، والقيمة التداولية من دون تحديد زمن التكلم يلتبس الأمر على المتلقي ويصعب عليه الفهم؛ لأن المرجع في الزمان وبحسب الحامل الدلالي، يشير إما إلى الزمان الكوني ([23]) الذي يشمل السنين والأشهر والأيام، وإما يشير إلى الزمن النحوي الذي يتحدد معناه من الكلمة في حالتها التركيبية، ومن أبرز هذه الأفعال: "كان" الذي لا يتضح إلا بالإشارة إليه بعينه بالقياس إلى زمان التكلم، ويحضر هذا العنصر الإشاري الزماني داخل الخطاب القرآني، فما كان يشير إلى الزمان الكوني فقد جاء في قوله تعالى:{ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ** } ([24]) وهي وصاية بفرائض الحج وسننه وما يجب على المسلم مراعاته من أفعال وأقوال أثناء زمن الحج، وصف الأشهر بمعلومات بحسب ما هو معلوم للعرب

من قبل، فهي من الموروثة عندهم عن شريعة إبراهيم، وهي من مبدأ شوال إلى نهاية أيام النحر، وبعضها بعض الأشهر الحرم، لأنهم حرموا قبل يوم الحج شهرا وأياما وحرموا بعده بقية ذي الحجة والحرام كله، لتكون الأشهر الحرم مدة كافية لرجوع الحجيج إلى آفاقهم، وأما رجب فإنما حرمته مضر لأنه شهر العمرة. فقوله: الحج أشهر معلومات أي في أشهر، لقوله بعده: فمن فرض فيهن الحج ولك أن تقدر: مدة الحج أشهرا ، وهو كقول العرب (الرطب شهرا ربيع) وذكرنا أراده الله من الوصاية به من أركانه وشعائره ووصف الأشهر بالمعلومات حوله على معلوم عند العرب من قبل، فهي الموروثة عندهم عن شريعة إبراهيم من شوال إلى نهاية أيام النحر ، ولفظة الحج أشهر معلومات إشارة زمنية تدل على زمن العبادة أثناء الحج، وحددها بهذه الصيغة (أشهر معلومات) ليدرك المتلقي أنها الفترة التي يكون فيها

موسم هذه الشعيرة دون زيادة أو نقصـان، أي شهران وعشرة أيام (شوال، ذو القعدة ،عشرة من ذي الحجة) والإشارة الزمنية حددت للمتلقي سبعين يوما، ويمكـن تفصيلها كالآتي: الإشارة الزمانية للحج أشهر معلومات :شوال ذو القعدة عشرة من ذي الحجة ثلاثون يوماً، وثلاثون يوماً، وعشرة أيام سبعون يوماً تقتضي إحراماً فعلياً، وإحراماً قولياً- زواج - التكلم بغير ذكر الله - تجارة - الجدال والمخاصمة -صيد - الغضب وهكذا فإن الغرض التداولي من الإشارة الزمانية الواردة في سياق الآية هو إلـزام المتلقـي إدراك الحيـز الزماني الذي يؤدى فيه الحج، وما يجب الالتزام به في هذه المدة من أعمال فعلية وقولية[25]. وكذالك عند قوله تعالى:{ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ** }،[26] فالعلامة الإشارية للفظة (ثلاثة قروء) أحالت في سياقها الكلامي على عدد ثلاثة أشهر من الزمان، وبالرجوع لسياق القول في الآية الكريمة، نجد الخطاب موجها للمطلقات ذوات القروء، وليس هذا بعام مخصوص في هذه، بمتصل ولا بمنفصل، ولا مراد به الخصوص، بل هو عام في الجنس الموصوف بالصفة المقدرة التي هي من دلالة الاقتضاء، فالآية عامة في المطلقات ذوات القروء، وهي مخصصة بالحرائر دون الإماء، ولا علاقة لها بغيرهن من المطلقات، مثل المطلقات اللاتي لسن من ذوات القروء، وهن النساء اللاتي لم يبلغن سن المحيض، والآيسات من المحيض، والحوامل، وقد بين حكمهن في سورة الطلاق، إلا أنها يخرج عن دلالتها المطلقات قبل البناء من ذوات القروء، فهن مخصوصات من هذا العموم فهي في ذلك عام مخصوص بمخصص منفصل ([27]).

فالقصد التبليغي للعنصر الإشاري المتصل بالزمان في سياق الآية كالتالي: الإشارة الزمانية كانت في ثلاثة قروء، وأن انقضاء التربص للمطلقات يتم بانقضاء هذه المدة المحددة. إذاً فالمعاني الدلالية لهذا العنصر الإشاري تتقيد بعدد معين من الأشهر.

ومما ورد من العلامات اللغوية الخاصة بالعنصر الإشاري المتصل بالزمن النحوي للفعل "كان" والذي دلَّ علـى أوقات زمانية مختلفة فنجده يحمل دلالة الزمن المعتاد والدلالة على العادة في الماضي، فحين يأتي المضارع مسبوقاً بكان يكون للدلالة على أن الحدث كان مستمراً في زمن مـاض وكان إلى جوار الفعل تؤلف مركباً ينجز المقصد الدلالي في الخطاب الكلامي. ومن ذلك قوله تعالى: {**وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**} ([28])، **وقوله تعالى:** {**وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**} ([29]) ، فلفظ (كان) تدل على زمن مستمر غير منقطع، فنجد أن الزمن النحوي في سياق الآيتين قد حمل دلالة الاستمرار والدوام، وهذا ما ذهب إليه بعض العلماء قديما، فالزمخشري يرى أن "كان" عبارة عن وجود الشيء في زمن ماض على سبيل الإيهام وليس فيه دليل علـى عدم سابق ولا انقطاع طارئ.([30])

وفي موضع آخر يقول الله تعالى: {**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**} ([31]) حيث ورد خبر "كان" فعلا مضارعاً يحيل على الاستمرار فأحالت على معاودة الفعل دون انقطاع، وقوله: بما كانوا يكذبون الباء للسببية، أي بسبب تكذيبهم الرسول وإخباره بأنه مرسل من الله وأن القرآن وحي الله إلى الرسول، فمادة التفعيل للنسبة إلى الكذب مثل التعديل والتجريح.([32])

ـ **الاشاريات المكانية:** مفردات ذات صيغة إشارية تشير إلى أماكن معينة، ويتوقف عليها تحديد الموضع المكاني الذي تجري فيه عملية استعمال اللغة في الخطاب الكلامي[33] التواصلي مع وجود المرسل والمتلقي،[34] وهذه الصيغ هي أسماء الإشارة وظروف المكان التي تشير إلى مكان قريب أو بعيد عن مكان المتكلم أو مركز الإشارة المكانية، بوصفها نقطة يشكل كلام المتكلم

مركزها،فمن الصعب جدا أن يفهم معنى (هذا أو هذه أوهنا أو هنالك أو يمينا أو شمالا)[35]مثلا، ما لم يعرف مكان المتكلم في وقت التلفظ، أو ما يسمى بالمركز الإشاري للمكان وعلى وفق ذلك تختص الإشاريات المكانية "بتحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي، وتقاس أهمية التحديد المكاني بشكل عام، انطلاقا من الحقيقة القائلة إن هناك طريقتن رئيسيتين ([36]) للإشارة إلى الأشياء هما: إما بالتسمية أو الوصف من جهة أولى، وإما بتحديد أماكنها من جهة أخرى[37]ومعرفة موقع المتكلم في الخطاب بالضبط، تستلزم معرفة مكان المتكلم واتجاهه ، لأن من ظروف المكان ما يستلزم فهم معناها معرفة اتجاه المتكلم فضلا عن مكانه، مثل يمين، شمال، أمام، خلف، وغيرها. من أمثلة ذلك ما جاء في الخطـاب القرآنـي، يقول الله تعالى: {**جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ** }([38]) وأن الإشارة ب(هنالك) إلى مكان اعتباري وهو ما هم فيه من الرفعة الدنيوية العرفية وأن الانهزام مستعار لإضعاف شوكتهم، ويتضح من التفسيرين الظاهر، والمؤول أن الآية لا تتعدّى أن تكون تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتثبيتاً له وبشارة بأن دينه سيظهر عليهم.

وهنالك: ظرف مكان يشار به للبعيد. وقد يستعمل للزمان وقيل بهما في هذه الآية، ([39]) وعند قوله تعالى: {**قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** } ([40]) لقد امتنع بنو إسرائيل عن دخول القرية بحجة أن فيها قوما جبارين، ثم أكدوا الامتناع الثاني من الدخول بعد المحاورة أشد توكيد دل على شدته في العربية بثلاث مؤكدات (إن، و لن، وأبدا) ([41]) ولفظة (إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ) الهاء هنا للتنبيه، هنا اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بالخبر (قاعدون) . وعنصر الإشارة المكاني يكمن في لفظة "ها هنا " إشارة مكانية قريبة، على الموضع الذي كان فيه بنو إسرائيل مع نبيهم، والذي لن يبرحوه إصراراً

منهم على مخالفته، والقيمة التداولية التي تحملها الإشارة المكانية في سياق الخطاب القرآني هي مدى جرأة بنو إسرائيل على نبيهم وإظهار العصيان، فلفظة (ها هنا) تحيل على المكوث. والانتظار حتى يخرج منها هؤلاء القوم بعد مقاتلة، موسى وربه بزعمهم، [42] ولكن مما يجدر ذكره أن بعض العناصر الإشارية الدالة على المكان قد تستخدم بحسب السياق للتعبير عن الجانب العاطفي لدى المتكلم، ونجد بعض الباحثين قد أطلقوا عليه مصطلح الإشارة الوجدانية ومن أمثلة ذلك ما ورد في الخطاب القرآني نحو قوله تعالى: {**وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا**} ([43]) في هذه الآية أذى خاص وهو الأذى حين يرونه. وهذا صنف من الأذى تبعثهم إليه مشاهدة الرسول في غير زي الكبراء والمترفين لا يجر المطارف ولا يركب النجائب ولا يمشي مرحا ولا ينظر خيلاء ويجالس الصالحين ويعرض عن المشركين، ويرفق بالضعفاء ويواصل الفقراء، وأولئك يستخفون بالخلق الحسن؛ لذلك لم يخل حاله عندهم من الاستهزاء به إذا رأوه بأن حاله ليست حال من يختاره الله لرسالته دونهم، ولا هو أهل لقيادتهم وسياستهم. وهذا الكلام والاستفهام إنكار([44]) لأن يكون بعثه الله رسولا. واسم الإشارة مستعمل في الاستصغار والمعنى: إنكار أن يكون المشار إليه رسولا لأن في الإشارة إليه ما يكفي للقطع بانتفاء أنه رسول الله في زعمهم.([45])

ويقول جلَّ شأنه: {**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ** }([46])، وفي هذا حجة على المشركين وعلى أهل الكتاب الذين جحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أي هي قصة الرسل وأممهم، فضلنا بعض الرسل على بعض فحسدت بعض الأمم أتباع بعض الرسل فكذب اليهود عيسى ومحمدا عليهما الصلاة والسلام وكذب النصارى محمدا صلى الله عليه وسلم. وقرن اسم الإشارة بكاف البعد تنويها بمراتبهم كقوله: (ذلك الكتاب) ([47]) كما هو ملاحظ أن أسماء الإشارة قد استعملت بحسب السياق للوصل إلى التبليغ القصدي عن الغرض من استعمالها وقد جاء الاستعمال معبراً عن العنصر الوجداني للمتكلم فالعنصر الإشاري الدال على المكان البعيد

إنما أريد به التعبير عن رفعة مكانتهم في الحديث عن الرسل، وقد جاء التلفظ بالعنصر الإشاري للمكان القريب للمتكلم لبيان قصدية الخطاب فقد استعمل القريب لغرض التصغير، بذلك نفهم معنى استخدام بعض الإشاريات الدالة على المكان إنما استخدمت للدلالة على مكانة المتحدث عنه وجدانياً فالمكان العبيد دلالة على رفعة الشأن وعلو المكانة، بينما القريب إنما هو للتحقير والتصغير.

النتائج المتوصل إليها من البحث:

من خلال سياق بعض النماذج من الخطاب القرآني، وجدنا أنها أسهمت في إبراز نجاح عملية التواصل والمقصد التبليغي لكل خطاب بحسب السياق الذي استعمل فيه:

ـ ارتباط الضمائر داخل الخطاب القرآني مع السياق الكلامي أدى إلى إظهار المقاصد التبليغية التي كان يحملها، فالعناصر الإشارية الشخصية أحالت على طرفي التخاطب حسب موضع "المتكلم والسامع" وعلى أساس أن كلا منهما يعد مرجعاً مطابقاً للواقع آخذين المصداقية بعين الاهتمام وبالتالي تأكد وجود علاقة بين العلامة الإشارية وما دلت عليه.

ـ العناصر الإشارية الزمانية داخل الخطاب القرآني ظهرت على صنفين: الزمان الكوني الزمن النحوي، ولكل منهما ارتباط بالسياق عند التلفظ به، ولكل منهما مركزه الإشاري، فأحال العنصر الإشاري الأول على مدة زمانية ، وأحال العنصر الإشاري الثاني على حدث، مما ساعد ذلك في تحديد القصد الذي يرمي إليه المتكلم في السياق التخاطبي.

ـ العناصر الإشارية المكانية داخل الخطاب القرآني حددت المكان من جهتين: الموضع المكاني بتحديد ما تشير إليه "قريب" بهنا، أو" بعيد" بهناك وقد يخرج السياق عن معناه الأصل فتصبح الإشارة عاطفية أو بتحديد المسافة وجدانياً الصادرة عن المتكلم نحو أمر ما كأن يقوم بتحقيره بالقرب المكان أو الموضع.

الهوامش :

[1] التداولية، جورج يول، تر: د. قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، بيروت، ٢٠١٠ :٢٧. الخطاب، هرمان باري، تر: محمد أسيداه، شبكة المعلومات: د. ص.، وينظر: نسيج النص:١١٦.

[2] (ينظر: من أجل مقاربة قرائنية لديوان (غنج المجاز) لجمال ازراغيد: ١.

[3] ينظر: الإبهام والمبهمات في النحو العربي، إبراهيم بركات، دار الوفاء للنشر، مصر، ١٩٨٧ :٣٣.

[4] ينظر: نسيج النص، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت: ١١٦.

[5] ينظر: تحليل الخطاب الشعري، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط٤، المغرب، الدار البيضاء،
٢٠٠٥: ١٥١.

[6] (٧ (ينظر: من أجل مقاربة قرائنية لديوان (غنج المجاز) لجمال ازراغيد: ٢.

[7] (٨ (ينظر: المعنى وظلال المعنى: ١٠٣.

[8] -عبد الرحمن بن ضافر الشهري. إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية. 2004م. بنغازي: دار الكتب المنحة الجديدة. ص 81.

[9] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. ص.16

[10] محمود أحمد نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. ص.16

[11] 4-المرجع نفسه،.17

[12] المرجع نفسه. ص. 19.

[13] ينظر: ذهبية حمو الحاج. عن: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، تيزي وزو: ص ٩٨.

[14] محمود أحمد نحلة. ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٨.

[15] المصدر السابق: ص ١٨.

[16] ينظر: جمال أزراغيد. من أجل مقاربة قرائية لديوان غنج المجاز: ٣.

[17] (٢١ (ينظر: م. ن: ١٨.

[18] (٢٢ (ينظر: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب: ١٥٧.

[19] (القرآن. الأعراف: 158).

[20] (القرآن. يونس: 104).

[21] الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير. 1984م. ج.9. ص. 139.

[22] (القرآن.1:109، 2). وينظر: الطاهر بن عاشور. 1984م. التحرير التنوير. ج11. ص.300.

[23] أشير إلى هذه الأزمنة بالكونية لأرتباطها بحركة الأرض وما ينتج عنها من تعاقب الليل والنهار، وتعاقب أشهر السنة، و، و، و .

[24] (القرآن.2: 197).

[25] الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير. 1984م. ج. 2. ص231.

[26] (القرآن. البقرة: 228).

[27] الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير. 1984م. ج. 2. ص. 388.

[28] (القرآن. النساء:134).

([29] القرآن. النساء: 152).

[30] الزمخشري. الكشاف.1407هـ. بيروت: دار الكتاب. ج. 1. ص. 400. وينظر: الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير. 1984م. ج. 5. ص. 223. و ج. 6. ص. 12.
[31] (القرآن. البقرة: 10). الطاهر بن عاشور.
[32] التحرير والتنوير. 1984م. ج.1. ص.278.
[33] من أجل مقاربة قرائنية لديوان غنج المجاز لجمال أزراغيد: ٥. وينظر: التداولية.ص. 23.
[34] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٢١
[35] ينظر: م. ن: ٢١-٢٢.
[36] استراتيجيات الخطاب- مقاربة لغوية تداولية: ٨٤
[37] ينظر: م. ن: ٨٥.
[38] (القرآن. 38: 11).
[39] الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير. 1984م. ج. 23. ص. 219. وأبو حيان الأندلسي. البحر المحيط. ج. 3. ص. 125.
[40] (القرآن.5: 24:25).
[41] الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير. 1984م. ج. 6. ص. 166.
[42] الدعاس، أحمد عبيد - أحمد محمد حميدان. إعراب القرآن الكريم14. 1425هـ. دمشق: دار المنير ودار الفارابي. ج. 1. ص. 251.
[43] (القرآن. 25: 41). ج8ص105)
[44] أي عدم تقبلهم أن يكون النبي بصفة المتواضع؛ لذلك جاء إنكارهم بسؤالهم: أهكذا يكون النبي، أو أهذا يكون قائداً ونبياً؟ على وجه عدم التقبل والإنكار.
[45] الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير. 1984م. ج 19 ص 31.
[46] (القرآن.2: 253).
[47] الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير. 1984م. ج3.ص. 5.